محاضرة رقم ٨	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	فلسفة التاريخ
المادة باللغة الانجليزية	philosophy of history
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ / ٢٠٢٤
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	د. أحمد محمود حمود
العنوان باللغة العربية	المنظور الأجتماعي للتاريخ
العنوان باللغة الانجليزية	historical sociology account
المصادر والمراجع	فلسفة التاريخ – غوستاف لوبون
	ابن خلدون – المقدمة
	فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي – عبد الرحمن بدوي

المحاضرة : الثامنة

المنظور الأجتماعي للتاريخ

أرجع الكثير من الباحثين والفلاسفة والمفكرين ظاهرة العلاقات الإنسانية الاجتماعية إلى فترة قديمة ، قدم المعرفة الإنسانية ذاتها . فقد وردت مسألة تنظيم العلاقات بين البشر في الأديان المختلفة السماوية منها أو الوضعية. كما عالجتها نظم ومؤسسات الحضارات القديمة . ولنا في القوانين والشرائع العراقية القديمة – لا سيما شريعة حمورابي ، خير شاهد لذلك . كما عالج هذه الظاهرة كثيرون من الفلاسفة الأغريق . فقد أكد أفلاطون (٤٢٩ – ٣٤٧ ق. م) في كتابه (الجمهورية) على كثير من المفاهيم الأجتماعية الداعية الى تحليل المجتمع وتقسيمه إلى طبقات مرتبطة بنوازع النفس البشرية . كما عُرف عن أرسطو(٣٨٤ – ٣٢٢ ق. م) عبارته الكلاسيكية : (الأنسان – كائن – أجتماعي أو سياسي) وأعتقد أن أمر الأنسان مرتبط أشد الأرتباط بالحياة في مجتمع ما ولا يمكن فهم الأمن بمفرده معزولا عن الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه . لا بل رأى أن المجتمع عبارة عن مخلوق حي خاضع لقانون الولادة والنمو والموت. وبرز من بين الرومان مثلهم في ذلك مثل أهل الصين روّاد في ميادين القوانين وعلم الأخلاق

مثل الفيلسوف ماركوس توليوس شيشرون والفيلسوف لوكيوس أنّايوس سينيك. ولنا في العلامة العربي أبن خلدون رائدة في علم العمران والأجتماع البشري ، سابقاً غيره من علماء الاجتماع الأوربيين لقد كان هؤلاء بمثابة الروّاد الأوائل الذين أنبثقت منهم بعدئذ كثير من المدارس السياسية والاجتماعية.

ومن ثم فقد ظهرت بعدئذ الطروحات والأفكار الاجتماعية المرتبطة بأبعاد – فلسفية وسياسية لدى كثيرين من الكتاب والمفكرين والفلاسفة ومنهم ، جان جاك روسو (١٧١٣ – ١٧٧٨) من خلال كتابه المعروف (العقد الأجتماعي) وفولتير (١٦٩٤– ١٧٧٨) الذي كان من أوائل من تصدى وناقش موضوع التقدم الإنساني بدعوته إلى التعمق في دراسة الماضي والواقع الاجتماعي والسياسي الفرنسي بغية معرفة القوانين التي تحكم التقدم البشري .

أما جان كوندورسية (١٧٣٤ – ١٧٩٤) فقد كان كذلك من دعاة نظرية التقدم والتطور الأجتماعي بتسع مراحل تبدأ بمرحلة الصيد، وتمثل خطاً تصاعدية نحو الرقي ، ثم تصور مرحلة عاشرة وأخيرة ينتهي اليها تغير وتقدم وسعادة البشرية . ومن هؤلاء أيضاً مونتسكيو (١٦٨٩ – ١٧٥٥) في كتابه (روح القوانين) , وفيكو (١٦٦٨ – ١٧٤٤) الذي رأى أن كل مجتمع يمر بمراحل متعاقبة هي المرحلة الالهية ومرحلة البطولة ثم المرحلة التي أطلق عليها الطبيعة الإنسانية الذكية التي طابعها الواجب والمساواة والفكر والعقل الخلاّق .

أوغست كونت (١٧٩٨ – ١٨٥٧)

يعد العالم الفرنسي كونت من أوائل من وضع حجر الأساس لعلم الاجتماع الحديث وعالجه بطريقة منهجية . ومن ثم ليربط بعدئذ بين الظاهرة التاريخية والظاهرة الاجتماعية . لقد أفاد كونت من دراسته للتأريخ من زاوية نقدية استدلالية تقوم على التجربة ، بغية الكشف عن القوانين التي تحكم المجتمع الإنساني. كما عده بعضهم مؤسس ما يعرف ب (الفلسفة الوضعية) ، التي ترفض الميتافيزيقيا وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة . إذا أعتقد أن الظواهر الإجتماعية يمكن أن تدرس بطريقة علمية ، وقد عرض آراءه من خلال كتابه « دراسات في الفلسفة الوضعية» . إذ صنف العلوم حسب أهميتها إلى : علم الرياضيات وعلم الطبيعة وعلم الحياة وعلم الفلك وعلم الكيمياء وعلم الإجتماع . الا أنه تعصب لعلمه الجديد فوضعه على رأس العلوم . ومع هذا أسقط من حسابه جميع العلوم التي تعالج المسائل الجزئية مثل علم الحيوان وعلم المعادن، وعلم الجغرافيا وعلم النفس . ولم يدخل في تصنيفه هذا سوى العلوم النظرية المجردة أي التي تستهدف معرفة القوانين .

عمل كونت في دراسته للمجتمع على تقسيم علم الأجتماع إلى قسمين اساسيين :

الأول : أطلق عليه علم الاجتماع الخاص بالإستقرار (الساكن أو الثابت) .

والثاني – علم الاجتماع الخاص بالتطور (المتحرك او المتغير) .

ومن خلال تحليله الثابت للمجتمع. رأى أن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع وأول ثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية . إضافة إلى أن المجتمع في نظره يتكون من أسر لا من أفراد . والفرد بنظره فكرة مجردة في علم الاجتماع ، كما أكد على أن القوانين التي تحكم الأسرة تخالف القوانين التي تحكم المجتمع . أما في مجال دراسة الحالة التطورية للمجتمع، فقد أكد على عوامل التقدم في المجتمع او التغير الاجتماعي أو ما يعرف بقانون التقدم الإنساني .

وعلى هذا الأساس أوضح كونت نظريته في ما يعرف بـــ (قانون الحالات الثلاثة) الذي وضعه قانوناً عاماً تخضع له المجتمعات الأنسانية في تطورها وتقدمها والذي بدوره يمثل تطور العقل أو الفكر الانساني . وهذه الحالات أو الأطوار الأساسية هي :

أولا: الحالة أو المرحلة اللاهوائية (الدينية) والتي قسمها كونت بدوره إلى مراحل ثلاث هي: المرحلة الوثنية (الصنمية) والمرحلة التعددية (تعدد الالهة) ثم المرحلة (التوحيدية) التي اتصفت بالجمع بين القوى في صورة اله موحد ينظر اليه على أنه خالق الكون ومدبر له.

ثانياً: المرحلة الميتافيزيقية (الماورائية او التفكير المجرد) وذلك بالنظر إلى الطبيعة على انها مبدأ أول أو علة اولى ينبغي افتراضها لتفسير نظام الكون . وفيها حاول الأنسان تجسيد أفكاره من خلال ارجاع مظاهر الطبيعة إلى أسباب ترتكز في الأشياء ذاتها لا إلى عوامل غيبية .

ثالثاً: المرحلة الوضعية (العلمية) والتي عدها كونت مصدر المعرفة البشرية وأن العقل فيها يفسر الظواهر بنسبتها إلى « قوانين وضعية » تؤثر فيها من خلال وحدة العلم والتزام المنطق واختبارات الملاحظة التجريبية .

أن وضعية كونت هنا ترى في النظام غاية في ذاته ووسيلة لتحقيق التقدم . كما إن منهجه في «الملاحظة والتجربة» يقوم على منطق المقارنة بين الظاهرات والمجتمعات ، ومن ثم التحليل التاريخي المنطلق من دراسة الأفكار وتحليلها بوصفها مقدمة اساسية لفهم التطور الاجتماعي . كما أن هذا التطور العقلي طبقة كونت على تطور المجتمعات الانسانية وعلى جميع نشاطاتها الحضارية . لذلك أعتقد كونت بوجوب احلال لمنهج العلمي مكان الصدارة في ميدان المعرفة لا بل أيقن بان قوانين علم الاجتماع الذي جاء به ، هي الكفيلة بتفسير السلوك الاقتصادي والسياسي والأخلاقي للبشرية .

لقد وجهت إلى كونت انتقادات متعددة حول منهجه هذا, أهمها أن كونت عدّ الانسانية كلاً لا يتجزأ في حين توجد هناك مجتمعات جزئية مختلفة كما أنه أرجع تطور الظواهر الاجتماعية إلى التفكير وحده ، في الوقت الذي نجد فيه هذه الظواهر تخضع وتتفاعل مع عوامل أخرى كما أخذ عليه قلة سعته وأحاطته

بالتاريخ لاسيما أنه اختار مجتمعات معينة من التاريخ لتطبيق نظريته عليها، اضافة إلى أن الأطوار الثلاثة التي ذكرها كونت والتي اعتقد بأنها تتعاقب ، كانت موجودة بشكل دائم مع بعضها بعضاً.

لويس هنري مورغان (١٨١٨-١٨٨١)

محام وأنثروبولوجي أمريكي ومن رواد المدرسة التطورية اهتم في بداية حياته بدراسة هنود الايروكيز وغيرهم من سكان الشمال الشرقي الأمريكي الأصليين.

حاول مورغان إعادة تركيب صورة المجتمعات الإنسانية وتصنيفها بغية التعرف على تاريخ المجتمع الأوروبي والمراحل التي مرَّ بها وصولاً إلى ما هو عليه في عصره. وقد تأثر مورغان بكتاب باخوفن "حق الأم" وبأبحاث لافيتو.

وافترض مورغان عدداً من المراحل التطورية الاجتماعية ، وربط كل مرحلة من تلك المراحل بنمط معين طبقاً لمراحل التطور الثقافي، أي أن كل مرحلة تميزها علاقات ثقافية. وافترض مورغان أن جميع المجتمعات الإنسانية تخضع في تطورها لقانون واحد طالما أن تاريخ الجنس البشري واحد "وحدة أصل الإنسانية وتوحد الحاجات الإنسانية على الدرجة نفسها من التطور وذلك حين تكون العلاقات الاجتماعية على الدرجة نفسها من المساواة".

هكذا يرى مورغان أن الثقافة الإنسانية انتهجت في تطورها مساراً أُحادياً، أي أنها تنتقل عبر التاريخ وفق سلسلة متتابعة الحلقات، بمعنى وجود مراحل محددة وحتمية لا بدَّ أن تمر بها كل ثقافة من الحالات الدنيا إلى الحالات الراقية فالأكثر رقياً. وافترض مورغان وسعى إلى إيجاد علاقة عنصرين كبيرين في مرحلة ما قبل التاريخ هما : مرحلة التوحش ومرحلة البربرية وقسم كل مرحلة منها إلى مراحل فرعية دنيا ووسطي وعليا قبل الوصول إلى مرحلة المدنية . وبذلك استعاد التاريخ البدائي تلاحماً شاملاً وعمقاً :

أولا : المرحلة « الوحشية » : التي ساد فيها التملك للمنتجات الطبيعية الجاهزة للاستعمال أما الاشياء التي ينتجها الإنسان فقد كانت بالدرجة الأولى ادوات تساعد على هذا التملك. وتقسم إلى ثلاثة مراحل فرعية هي

١- المرحلة التوحش الدنيا: يرى فيها مورغان طفولة البشرية حيث عاش الإنسان في مرحلة أشبه بالحيوانية هائماً على وجهه متغذياً بجذور النباتات وبعض الثمار البرية جامعاً وملتقطاً.

٢- المرحلة التوحش الوسطى: مرحلة تقدم فيها الإنسان قليلاً عما كان عليه في المرحلة السابقة باهتدائه إلى اكتشاف النار واستخدامها في طهي الطعام وإضاءة الكهوف. نتج عن ذلك تعرف الإنسان على أنواع جديدة من الأطعمة بخاصة اللحوم والأسماك.

٣- المرحلة التوحش العليا: اكتشف فيها الإنسان القوس والسهم مما ساعده على تغيير غذائه

واقتصاده بشكل عام، أصبح الإنسان في هذه المرحلة صائداً للحيوانات يعتمد على لحومها، أي أن الإنسان بدأ في هذه المرحلة في تحقيق الانتقال من جامع للطعام وملتقط له إلى منتج لطعامه. ويفترض مورغان ارتباط هذا التقدم في الاقتصاد بتقدم مماثل في شكل التنظيم الاجتماعي والديني.

ثانياً : المرحلة البربرية: وقد ساد فيها تربية المواشي والزراعة على نطاق واسع ، إلى جانب تعلم أساليب لزيادة انتاج المنتوجات الطبيعية بفضل النشاط البشري . وتقسم كذلك إلى ثلاث مراحل فرعية هي :

١- المرحلة البربرية الدنيا: تتميز بوصول الإنسان إلى إبداعات جديدة أهمها صناعة الفخار، وبخروج الإنسان من عزلته الضيقة وانتشاره في مناطق أكثر اتساعا، وبداية نشوء جماعات اجتماعية.

٢- المرحلة البربرية الوسطى: تمكن فيها الإنسان إلى صهر المعادن وصناعة الأدوات والآلات المعدنية، وبداية اكتشاف الكتابة الصورية.

٣- المرحلة البربرية العليا: إذ تمكن الانسان من صهر الحديد واختراع الكتابة وتمكن من صناعة الادوات الزراعية مثل المحراث والفأس والرحى ومع تطورها في هذه المرحلة تطورت الصناعة الحرفية وساد نظام الرق أو العبيد ومع هذه السيادة تحولت المجتمعات البشرية إلى مرحلة الحضارة . ويرى مورغان أنه وبعد اجتياز المراحل تلك توصل الإنسان إلى مرحلة المدنية التي تتميز باختراع الحروف الهجائية والكتابة، وهي المرحلة التي لا زالت ممتدة حتى الوقت الراهن.

وخلاصة القول يمكن القول أن مورجان من علماء الأنثروبولوجيا الأميركان القائل بالمذهب التطوري . وتركز اهتمامه على البحث في التنظيم الاجتماعي . لاسيما من خلال دراسته الوحدات الاجتماعية للهنود الحمر في أميركا. وقد أظهر من خلال كتابه (المجتمع القديم) ، أن تاريخ الجنس البشري واحد في مصدره وفي خبرته وفي تقدمه كما أعتقد بأن المجتمع يمر بمراحل تقدم تصاعدية متعاقبة كما ذكرنا سابقاً.

هربرت سبنسر (١٨٢٠ - ١٩٠٣)

فيلسوف وعالم اجتماع إنجليزي، وهو واحدٌ من واضعي أساسات المذهب الموضوعي، وصاحب عبارة: «البقاء للأصلح» التي تصف خاصَّة من خواص التطور في الكائنات الحية والمجتمعات. يعد سبنسر من العلماء الذين ساهموا في نشأة علم الأجتماع . وينتسب إلى المدرسة العضوية ، التي من أبرز معالمها هو جعل علم الحياة (البيولوجي) الأساس الذي يقوم عليه علم الاجتماع . وضع سبنسر نظريته العضوية في التفسير الاجتماعي في كتابه (مباديء علم الاجتماع) وبين من خلاله أوجه الشبه والاختلاف بين الكائن العضوي البيولوجي (الفرد) وبين العضوي الأجتماعي (المجتمع).

لقد نشر سبنسر فكرته عن التطور قبل داروين وغيره من التطوريين البيولوجيين . حيث أهتم بمسألة « الوراثة المكتسبة ». ثم عاد وأيد فكرة الإختيار الطبيعى والبقاء للأصلح وقد قضت نظريته ، بأن التطور يحدث لكل شيء إلى أن يحدث نوع من التوازن ، ثم يليه التحلل ، ثم التكامل من جديد ثم التوازن فالتحلل ، إلى ما لا نهاية . وطبق سبنسر نظريته هذه على المجتمع الإنساني . أذ حاول استخلاص قانون عام لتطور المجتمعات . وبين أن هناك نموذجين الأول: النموذج العسكري ، الذي يغلب عليه الإكراه والقوة ويمثل هذا النموذج (الاقطاع). اما الثاني: فهو النموذج الصناعي ، القائم على تقسيم العمل الذي يغلب عليه ظهور العلماء والمهندسين ورجال الصناعة . كما رأى أنه لا يوجد وجدان اجتماعي مشترك بين الجميع كلا بل يوجد في الأفراد. وهنا تغدو الفردية بنظر سبنسر خاتمة المطاف للحياة الاجتماعية .

ألَّف «سبنسر» مجموعة ضخمة من الكتب تتصف بدقة التحليل وعمق الأفكار وأصالتها؛ ولهذا يعدُّ من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. وقد رحَّب الرأسماليون بفكر «سبنسر»، واعتبروا نظرياته مسلمًا بها؛ وذلك لأنه كان يعتبر صعودهم للحكم ليس فقط نتيجة حتمية بل حقيقة علمية. وكان «سبنسر» من أشد المعجبين بالداروينية الاجتماعية، حتى إنه حنث بيمينه بعدم دخول أي كنيسة، إلا ليحضر الصلاة على روح «دارون».

وقد وضع «سبنسر» نظريات في علم الاجتماع؛ أهمها «المماثلة العضوية»، حيث رصد التشابه بين تكوين الكائنات الحية، وجعل المجتمعات كالكائنات الحية أيضًا تتماثل في التطور من المجتمعات البسيطة إلى المجتمعات المركبة. ومن أهم مؤلفاته كتب: «الرجل ضد الدولة»، و«أسس علم الحياة»، و«أسس علم النفس»، و«أسس علم الاجتماع»، و«الإستاتيكا الاجتماعية».

الاستاتيكا الاجتماعية : وهو أحد مصطلحات علم الاجتماع الذي ينصبّ اهتمامه على المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها الكامل وسكونها وهدوئها مع دراسة أجزاء هذه المجتمعات دراسة مفصلة، ويتبع هذا المصطلح الاجتماعي للفيلسوف الفرنسي "أوغست كونت"، ويدرس علم الاستاتيكا كذلك الظواهر الاجتماعية في حالة جمودها وثباتها، وتمتاز هذه الظواهر بتغييرات لا تكاد تُذكر أي ليست بالجوهرية، نذكر هنا بأن المجتمعات المتخلفة هي التي تعيش هذه المرحلة في الوقت الراهن، وكان في تصور كونت أن الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية يبينان الهدف التنظيمي للمجتمع ككل، فإن الاستاتيكا الاجتماعية تعني الاستقرار والثبات والانسجام والتوازن في المجتمع

الديناميكا الاجتماعية: يدرس هذا العلم الظواهر الاجتماعية في حالة الحركة والتغيير السريع والعميق، وتنقسم في اتجاهين اثنين؛ اتجاه التقدم للأمام حسب خصوصية كل مجتمع، واتجاه للخلف يعني

التراجع بسبب الصراعات والحروب والمشكلات المختلفة، ويدرس هذا العلم كذلك تغيرات وتطورات المجتمع، إذ يدرس نظريتين أساسيتين؛ هما نظرية تخص تطور وتغير المجتمعات، ونظرية تغير وتطور الإنسانية جمعاء بلا استثناء.